

الأراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

## كيف ندفع أمريكا إلى الانسطاب من العراق؟



شاكر النابلسي

كاتب اردني - امريكا

مكثنا أكثر من نصف قرن، ونحن العرب نندد بالعدوانِ الإسرائيلي على فلسطين، دون جدوى، ودون أن نبعد إسرائيل قيد شعرة عن تحقيق أهدافها السياسية والتوسعية. فلم يكن تنديدنا يُجدي

ومكثنا أكثر من نصفٍ قرن، ونحن العِرب نتوعُد إسرائيل بالثبور وعظائم الأمور حيناً، ونسالمها حيناً آخَر، فِلم ينفع وعيدنا لها ومسالمتها، في لجمها عن مزيدٍ من التوسّع وبناء دولتها، على حساب الشعب الفلسطيني، وأرضُه المسلوبة.

ومكثنا أكثر من نصف قرن، ونحن العرب ننظمُ عظائم القصائد، وعيون البيان الخطابي، ونكتب القصص القصيرة، والروايات الطُّويلة عن فلسطين، وعداب شعب فلسطين، دون أن نحصل على ذرة تراب واحدة مما نأمل به، أو نطمح إليه.

ومكثناً أكثر من نصف قرن، ونحن العرب والأحزاب والقبائل الفلسطينية والعربية تتناحر فيما بينها على خيار الحرب والسلام، دون أن نربحَ حرباً، أو ننالَ سلاماً. "

وجاءت جهودنا كلها في القضية الفلسطينية بمزيد من الخسائر لنا والأرباح لإسرائيل. فلو استعرضنا ما كان بيدنا وما كان بيد إسرائيل في عام ١٩٤٨، وما أصبح بيدنا وأصبح بيد إسرائيل، لرأينا بأننا خسرنا الكثير الكثير، وربحت اسرائيل الكثير الكثير

ليسا بالهجاء وسحر البيان وحده ننتصر دون الرَّجوع إلَّى الماضي، واستعراضٌ كافة الخطوات السِياسية

والعسكرية الخاطِئة، التِّي ارتكبنِاها نحو السعي إلى حلِّ القضية الفلسطينية حلاً عقلانياً واقعياً موضوعياً قابلاً للتنفيذ من قبل الطرفين المتخاصِمين الفلسطينيين والإسرائيليين، أصبح معظمَّنًا مقتنعاً، بأن الأسلوب العاطفي السياسي المتشنج، والعنتري المجاني، والهجاء الإعلامي، ودعوةُ المنجمين وَالمشعوذين السياسيّين إلىّ التنبـؤ، واستَطلاع الحُجب، وإقناع الـرأي العـام العربي بـانهُـيار دولة إسرائيل القريب، وانهيّار الإمبراطورية الرأسمالية الأمريكية المحتوم، هو الأسلوب الذي أتبع طيِلة أكثرٍ من نصفٍ قرن، دون أن نجلس إلى أنفسنًا، ونفكر تفكيراً شجاعاً منتظماً نخرج منه بقرار شجاع وحكيم وواقعي، نتألم له ساعة، لكي نتفادي ألم كل ساعة، كما نتألم الأن وباستمرار، منذ أكثر نصف قرن مضى.

تيه القرار العربي بيث النتيجة والسبب

منذ أكثر من نصف قرن مضى، دارت معظم الأدبيات السياسية العربية حول مقولة واحدة أصبحت راسخة في الذاكرة السياسية العربية، وهي أننا:

أولاً، ضحَّاياً مؤامرات الدولة الأجنبية الاستعمارية. فلولا هذه المؤامرات لما كان حالنا على ما هو عليه الآن. ولذا، فنحن نتصرف سيَّاسيًّا دائماً بمنطق الضحية، وليس بمنطق سوء التقدير

ثانياً، أننا أصبحنا مقتنعين قناعة تامة بأن احتلال فلسطين واحتلال العراق واحتلال جزء من سوريا (الحولان والإسكندرون) من قبل تركيا وإسرائيل، واحتلال جزء من المغرب (سبتة ومليلية وجزيرة ليلى) من قبل إسبانيا واحتلاٍل جزء من دولة الأمارات العربية المتحدة (جزر طُمب الكبرى وطُمب الصغرى وأبو موسى) من قُبل إيران.. وُكُلُّ أَنواع الاحتلال الأخرى للعالم العربي هيّ سبب الخيبة العربية الحالية، وليست بسبب هذه الخيبة. وأن ما يجري في السياسة العالمية هو ما تقول به الأمثال السائرة العربية 

. فالاستعمار العثماني الذي حلَّ بنا في بداية القرن السادس عشر (١٥١٧) لم يأت لولا أننا رحبنا به على أبواب حلب بهواننا وُفرقتناً. والاستَعماران الفرنسي والبريطاني لم يكن ليستولي على العالم العربي غِداة الحرب العالمية الأولى لولا أن رأى فينا مرتعاً خصباً وآمناً لخرافه ونعاجه. وإسرائيل لم تصبح بهذه القوة وبهذه السطوة لولا أنها واجهت عالماً عربياً ممزقاً وضعيفاً وكارهاً لبعضه بعضاً. واحتلال العراق لم يكن له أن يقع لولا

وجود صدام حسين في الحكم وفعله ما فعل طوال مدة حكمه. إذن، ما أصابنا من ويلات وكوارث واستغلال كان من صنع أيدينا، وكان نتيجة لما نحن فيه من انحطاط وتخلف وانقسام واستغلال واستبداد.. الخ. وليس ما نحن فيه نتيجة لما أصابنا من استعمار واحتلال ونهب وسرقة لثرواتنا من قبل الاستعمار وليس من قبل الحكام كما تقول معظم الأدبيات السياسية العربية في الماضي والحاضر وما زالت تكرر هذا حتى الآن.

العرب والانسحاب الأمريكي من العراف قلنا سابقاً أنَّ للعراقيينُ والعربُ مصلحة في بقاء القوات الأمريكية في العراق لأسباب كثيرة منها، أن لا دولة عربية أو أوروبية قادرة على كسر شوكة الإرهاب في العالم العربي. وأن الدولة الوحيدة القادرة على ذلك أمريكا التي استطاعت أنَّ تُحقَّق الانتصار على النازية في الحرب العالمية الثَّانية. وبما أن ظهور الإرهاب نتيجة حتمية لما نحن فيه من عيوب ومشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية، ولو لم يظهر اليوم لظهر فيناٍ غداً، فقد كان من حسن حظنا أن استُدرجت أمريكا عسكرياً إلى أرض معركة الإرهاب في الشرق الأوسط لكي تقضي عليه بقوة المال والسلاح والعلم. ولولا استدراج أمريكا إلى العراق بفضل "قاعدة بن لادن" (فشكراً ابن لادن، كما قال له سيد القمني في كتابه ص 2-0 شكراً ابن لادن") لما أمكننا من اكتشاف خلايا الإرهاب العربي-الإسلامي على هذا النحو. ولو بقيت أمريكا تحارب الارهاب داخل حدودهاً فقط، لابتلع تنين الإرهاب العربي الدولة العربية القائمة الآن، وما وصلت إليه من أدنى حدود الّحداثة، وأدنى بناء اساليب الحكم الديمقراطية، ولانهار هذا الشيء القليل الذي حققناه في كافة المجالات بعد الاستقلال حتى الآن. ورغم أن من يتصدى للارهاب هي القوة العظمى الوحيدة في العالم بكل امكاناتها المختلفة إلا أن الارهاب استطاع أن يصمد أكثر من أربع سنوات حتى الآن، فما بالك لو لم يكنّ يواجه مثل هذه القوة

## دعوة حق أريد بها باطك

العالم العربي اليوم من أقصاه إلى أقصاه يُنادي بضرورة انسحاب أمريكا مِن العراق. وهي دعوة حق مشروعة ولكنها تخفى باطلاً واضحاً. وجود القوات الأمريكية الآن في العراق هو ضمان القوة العسكرية الوحيدة لعدم قيام حرب أهلية في العراق. وكأن العرب بقضهم وقضيضهم يقولون لأمريكا:

. . اتركي العراق غداً لكي يُتّاح له ممارسة الحرب الأهلية، التي تقفين أنتٍ عائقاً أمامها بجيشك الجرار وميزانيتك المالية الضخمة وأسلحتك الفتاكة.

دعي العراق وشأنه. وشأنه هنا تعني أن ينحر العراقيون بعضهم بعضا بشكل كلي.

إذا كان العرب -حقاً -حريصين على الانسحاب المبكر لأمريكا

من العراق فطريق هذا الانسحاب معروفة، وهي بكل بساطة وسذاجة أيضاً، مساعدة الدولة العراقية على بناء جيشها الوطنى، وحماية حدود العراق من دخول الإرهابيين اليه، وفتح سفاراتهم في بغداد، ومدِّ يد العون الأمني والعسكري للدولة العراقية الجديدة، واعتبار الإرهاب في العرَّاق هو إرهاب للعالم العربي بـأكمله. وبدِون ذلك لن تنسحب أمـريكـا (الجمهـوريـة أو الديمقراطية) قريباً من العراق، قبل تصفية جيوب الإرهاب فيه، وهِ العالم العربي كذلك، قبل أن يصل إليها هِ مستقبلُ الأيام.

لغرض الوقوف على اتجاهات التحولات الاجتماعية في العراق لابد من التمييز بينها من منظور مولداتها ومدياتها ... وأشكالها وكما يأتيّ: ١-التحول الاجتماعي الداخلي الطبيعي:

ويتم عبر الهياكل الإجتماعية والثقافية والاقتصادية مرتكزا على مخزون ثقافي واسع مستوعباً النظام المعرفي والتراتبيات الاجتماعية والامكانيات الاقتصادية وطرق الانتاج المتبعة والعادات والتقاليد والقيم وكل ماً يضطلع في تشكيل هوية المجتمع، أي رؤيــة هــذا المجـتمع لــذاته وللعــالم مـن حُوله ولغاياته الكبرى، وبالتالي فإن هذا المجتمع يمارس سلطانه الكامل على تحوله الذاتي وهذا يجري ويتم في ظل الظروف الطبيعية التي يعيشها أي مجتمع. ٢- التحول الاجتماعي الداخلي غير

طبيعي: ويتم نتيجـة تبني اتجـاهـات متطرفّة في انحيازها لمخزونّات ثقافية وعادات وتقاليد وقيم تشكل جزء معينا من الهوية المجتمعية تتجاوز الرؤية الموضوعية لتطور المجتمع العالمي وللمجتمع ذاته لاسيما فيما يتعلق بالغايات والأهداف والامال التي يتطلع النظام الاجتماعي الى بلوغه وتحقيقه متناغما مع مسيرة الانسانية جمعاء نحو الرقي والتطور.

٣- التحـول الاجتمـاعي الخـارجي: وهـو التحول الاجتماعي الذيّ يتم وفق شروط ومواصفات لتحولات خارجية قد تختلف جَزئَياً أو كلياً عن شروط التحول الداخلي الذاتي، ووفق اجندة خارجية متحكمة في سرعة وحجم واتجاهات هذا التحول، فلا سلطان لهذا المجتمع على محركات ومصادر هذا التحول الغريبّ، الذي يضرب بتياراته العنيفة المنظومات المعرفية للمجتمع من خلال اثارة سلسلة مراجعات للذات ومقارنات قد تؤدي الى التسليم بقدرة العامل الخارجي على حل مشكلاتنا المزمنة كتعبير عن الآحباط العميق بداخلنا والعجز عن النهوض الذاتي بواقعنا وصولاً الى تمثل سيرة الغالب المنتصر. وهذا الامر اخذ يتبلور بشكل جدي وملموس في اتجاهات حركة التفكير المجتمعي في العراق

على مدى اكثر من أربع سنوات. مؤشرات الواقع الأجتماعي العراقي مما لاشك فيه ان التحول الاجتماعي الذي يجري في العراق اليوم هو تحول اجتَّماعيّ داخلي غير طبيعي الى جانب تاثره باجندة

مسارات التحول الاجتماعي في العراق لمصلحَّتها. و لغرضٌ فهم الواقعُ الْأجتماعيُ الصلحَّتها. والغراق، فإن صورة التحول قد لا تبدو واضحة، لمن يبتلعه تيار التحول وبالتالى قصوره عن فهم الخلفيات التي تغذي وتوجه مجريات هذا التحول، ولذلك فإن المجتمع قد يشهد تغيرات نوعية جوهرية ولكن لا تفضى في الظاهر الى تمثُلات في الفكر أي لم تطل مباشرة الاساسات الذهنية، بمعنى آخرِقد يحدِث التحول القادم من الخارج تغييراً عظيماً في سلوك المجتمع أو قطاعً كبير منه، ولكن ليس بالضرورة أن يتركُّ تأثيراً مباشراً وعاجلاً في الفكر، على أنه بالتأكيد يستبطن طيضاً من الاسئلة تتراكم بمرور الوقت كلما اتسعت وتزايدت التغييرات السلوكية وصولاً الى تغييرات كبيرة في الاساسات الذهنية، تتمظهر في عملية اختلالات في المنظومة الثقافية ونظام القيم وطرق المعيشة وأنماط التفكير وشبكة العلاقات الاجتماعية. ويمكننا

خارجية وقوى اقليمية اخرى تحاول تغيير

"الرجوع الى الاوضاع الاجتماعية القبلية في اطار من السكون في الوعي العام، يكاد يختزل نظرة الانسان للكون عند حدود المعرفة الموروثة.

تأشير اهم وابرز مظاهر عملية التحول

الاجتماعي في العراق من خلال رصد ما

الرتابة الكسولة في التفكير واللهاث وراء تأمين الحد الأدنى للعيش كتعبير من جهة عن الصراع من اجل البقاء.

•تردي وتراجع و قِصور الانسان العراقى عن وعي ذاته فضلاً عن جهله التام بقدرته على التّغيير في واقعه الفردي والاجتماعي فلا مكان للابداع والمغامرة والتطلعات البعيدة، وروح المسؤولية الضردية والاجتماعية، وسرعة المبادرة، كشروط ضرورية في عملية التغيير..

•عجزاً مجتمعيا مزمناً وعميقاً ينعكس في جـزء مهم منه في الغيـاب التـام عن وعى حركة التاريخ أي العيش في مكان خارج دورة التاريخ بل خارج دورة الزمن، فلسنا معنيين بما جرى ويجري خارج السور طالما أن ذلك لا يقلق سباتنا أو يهدد لقمتنا، فالأزمة ليست مختصرة فقط في التهجير ولا بالقتل والاختطاف اليومي، وإنما بما يحدث من تطوير في الحركة المجتمعية العامة باتجهات قِد لاتكون صحية، نتيجة تباطوء واضح وبين في وتائر النمو المعرفي للمجتمع، وتقدمه الحضاري.

"الضراغ الفكري الواسع الذي نجم عن تدمير وانهيار مؤسسات الدولة العراقية (وليس النظام السابق) جعل الفرص مُؤَاتَية لملئه بأي شيء وبأي طريقة، فاسحا المجال لتحولات جوهرية كبيرة في الواقع الاجتماعي، ووضع حجر الأساس لمجتمع مضاد يعاد تشكيله في جو من الصراع الفوضوى العبثي بكل ما فيه من عناصر

جديدة، وتضاعلات متنوعة، أي بما يحدث من تبدلات فوقية، في نظام التفكير، وتحتية في نظام القيم والعادات وطرق المعيشة والانتاج.

التمسولات الاجتهاعيسة في العسراق

بكلام آخر، أحدثت المرحلة التي تلت نيسان ٢٠٠٣ طفرات مفاجئة مولّدة طيفاً من الاختلالات والانقطاعات، فمن الفقر المدقع لشرائح مجتمعية معينة الى الغنى الفاحش والعكس صحيحي بالنسبة لشرائح أخرى، ومن العزلة التامة الي الانفتاح المطلق. لُقد حدثت تبدلات كبرى في الاوضاع الأجتماعية، وهي تبدلات تسببت في قطع الاواصر بين الاجيال مسفراً عن (صراع الاجيال)، متمظهراً في غياب اللغة المشتركة في التفاهم والتعامل والتفكير، وايضاً غياب التطلعات المشتركة، والهموم المشتركة، والاهداف المشتركة، وفي نهاية المطاف ثمة تغييرات تحفر عميقاً في واقع المجتمع وتعيد تشكيله وصياغته وفقاً لبيئة وشروطً ومحفزات جد مختلفة.

اتجاهات التحوك الاجتماعي في العراق

ومن زاوية نظر أخرى، فإن التحول أخذ ينطلق بوتائر متسارعة ويعصف بكل البنى القديمة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية وكانت هناك حاجة الى كوابح للحد من سرعة التحول وأضراره المحتملة، فهناك عاله جديد يقذف بعالم قديم ويستوعب بحضوره الكلى والصارم كل البني القديمة اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً وأيضاً سياسياً. ان طبيعة التحول الاجتماعي العراقي اليوم بدلت التراتبية التقليدية السائدة في المجتمع المؤسسة على نمط معيشي محدد، كما بدل النظام المراتبي، والنظام القيمي، وأتجه بسرعة كبيرة لاحداث تغييراً كبيراً في العادات والتقاليد. وعليه لم يعد خافيا ان المجتمع يخضع لعملية تجديد قسرية، تتطلب العبور بالمجتمع من المر الطبيعي، أي إحداث . تبديل في قاعدته الفكرية واعادة تشكيلها، وفقاً لشروط المرحلة الجديدة ومتطلباتها، وأن اختضاء أو تأخر التبدلات الفكرية لا يُعنى بتاتاً عدم وجودها، فهي تفعل فعلها في مكان آخر، أي في الاعماق وتمارس عملية تفكيك هادئة وطويلة المدى للقواعد الفكرية ومن ثم فهي تعول في ظهورها متغيرة مستقبلا عند توفر الشروط المناسبة. الا اننا يمكننا تلخيص اتجاهات

اولا". المستوى الثقافي: حيث أفضت الاوضاع الاجتماعية الجديدة وما رافقها من انفتاح كبير على الخارج، تمثل بتدفق التكنلوجيا في سيل هائل من الاجهزة الكهربائية والالكترونية، وانتشار وسائل الاتصال الحديشة (التلفون النقال، المحطات الفضائية وألانترنيت) والسفر للخارج، كل هِـذه وغيـرهـا من معطيـات ساهمت ايضاً في كسر احتكارية التوجيه المحلي الذي كان سائدا" قبل نيسان ٢٠٠٣، وأصبح التكوين الثقافي للأفراد والفئات الاجتماعية يخضع لمصادر توجيه متعددة،

التحولات الاجتماعية في العراق بما يلي:

وكان من الطبيعي أن تتسرب بعض الثقافات الاجنبية للداخل، بما يضعف من تأثير مصادر التوجيه المحلية، ومن الطبيعي أن تغذي هذه الثقافات ميولات سياسية متنوعة وأحياناً متنافرة، وقد تأخذ شكلاً تنظيمياً وصل الى حد الاقتتال. حيث انه في الوقت الذي لعبت مصادر التوجيه الثقافي الخارجية في تهميش دور التوجيه المحلي، فإنها رهنت المجتمع لكل التبدلات التي تمر بها ووفق اجندات تتماشى مع مصالحها، ولم يعد المجتمع العراقي في منأى عن تأثير تلك التبدلات،

ات والملصول

ثانياً. التحول السلوكي: حيث ان السلوك المجتمعي العراقي بدأ يأخذ منذ وقت قريب هيئة تحول فكري خطير، فالتغير الكبير في البيئة الاجتماعية لا يعدو كونه سوى مؤشراً بارزاً على احتمال تبلوره في تيارات فكرية احتجاجية، ستوجه صدماتها للقواعد الفكرية وحقل اليقينات، وهذا التحول المشدود بالخارج يستمد قوته ومبرره من احباطات الواقع، الذي يضيق ويتسع حسب قوة وشائج الصلة بأجزائه القريبة والبعيدة، كما يستمد قوته ومبرره أيضاً من نجاحات الخصوم للمجتمع العراقي وهم في في حالة المجتمع العراقي بات من الصعب فرزهم بشكل موضوعي عن . القوى الضاعلة واللوثرة في حركة المجتمع العراقي نفسه، وهذه هي القنبلة الموقوتة التي قد يؤدي انفجارها الى مالا يحمد

سياسيةً كانت، أو ثقافية، أو اقتصادية.

هل من سبيل لتقليل اخطار التحولات

الاحتماعية؟ استنادا" لما سبقٍ بحثه قد تبدو هذه الرؤية متشائمة جداً بالنسبة للبعض، لكونها تصدر عن تحليل سلبي وفي ظاهره انهزامي للاوضاع الاجتماعية، ولكني، مع ذلك، أعتقد أنّ تشريح الواقع واكتشاّفه يتطلب قدراً كبيـراً من الجـرأة والصـرامـة أحيـانـاً، ولكن بشرط معرفة كيفية التعاطي معه وتهيئة الشروط الضرورية للتحكم ولتنظيم مسارات هده التحولات الاجتماعية الغير طبيعية، وعند ذلك يصبح كل شيء ممكناً. ومن الجدير بالذكر ان ثمة رهان كبير لدى نخبة من الاستراتيجيين والمفكرين المتابعين للحالة العراقية بتراجع الندهاب الى نظام اجتماعي قائم على الانحياز للقوي والتيارات والاحزاب التي ترفع شعارات دينية طائفية لاسيما بعد فشل تلك القوى في قيادة عملية التحول الاجتماعي بالشكل الذي يخرج المجتمع العراقي منّ محنته ومعاناته وأزماته بسبب من مغالاتها في التعويل على الخيارات القهرية في اجراء عمليات التحويل الاجتماعي، فذلك خلاف الطبيعية البشرية. كما إن البحث عن حلول سحرية يصبح مجرد اعانة اضافية لمجابهة أخطار التحول المجتمعي الغير طبيعي الذي نجم بعد نيسان ٢٠٠٣ الا ان الخطوات التي يمكنه تقليل اخطار ذلك

التحول يمكن ايجازها على النحو الآتي: ١- مراجعة شاملة وجريئةٍ للوعي الثقافي والتاريِخي العراقي، سعياً الى فهم واقعنا وبحثاً عن أسباب نهوضنا والعمل على تحرير هذا الوعي من كل معوقات النهضة وهذه المراجعة اذا ما تمت كفيلة بأن تحد من التأثيرات السلبية للموجات الفكرية السلبية الغريبة عن المجتمع العراقي، شريطة أن تضع المراجعة الأصبع على مشكلاتنا الحقيقية، وأن تتسلح بجرأة كبيرة في نقد ماضينا وحاضرنا، وفي نفس الوقت قادرة على توفير حلول مناسبة لتسوية تناقضاتنا العاجلة والآجلة.

٢- تصفية النزاعات الداخلية: ثمة نزاعات داخلية تحركها عوامل اجتماعية وسياسية وايديولوجية، أفضت الى تصدعات في بنية المجتمع، وباتت تنذر بانهدامات خطرة، تلك النزاعات القائمة على اساس الفروقات القبلية، أو الانتماءات الحزبية المتنوعة، أو الاختلافات المذهبية.

٣- إرساء تقالِيد للحوار: فقد بات الحوار خيارا جماعيا وضرورة موضوعية تتطلبها بالحاح الحالة المجتمعية في العراق اليوم. تتطلب تعميمها لتصبح لغة الحوار حاكمة بين كافة فئات المجتمع، وبين المجتمع والدولة، إذ لا سبيل سوى الحوار من أجل احباط مبررات العنف والتطرف والجريمة

٤- بناء الثقة: إن بناء الثقة يستند إلى استشعار أخطار غياب الثقة، والاستعداد المبدئي على ازالة اسبابها، ولعل من هم أهمها، الانحباس ضمن دوائر انتماء ضيقة ايديولجية وقبلية ومذهبية، واعتبار دائرة الانتماء الاكبر والوحيدة هي دائرة الوطن. لقد دفع المجتمع العراقي منذ نهاية خمسينيات القرن آلماضي ثمناً باهظاً بسبب انعدام الثقة، دفعناها من أمننا الفردي والاجتماعي والوطني، ودفعناها من امكانياتنا الأقتصادية، وقدراتنا البشرية، . ودفعناها من استقرارنا السياسي، ودفعناها من تطورنا العمراني، وبات الكلُّ يبحث عن مصادر ثُقّة أخرى ويَّ الغالب خارجية، وهي مصادر ليست حريصة على مصالحنا، بل مصلحتها في استمرار تمزقناً وتشظينا.

٥- بث ثقافة نهضوية شاملة، تساعد على اكتشاف طاقات أبناءنا وتوجيهها في خدمة مشروع البناء الحضاري لبلداننا، وتزرع روح المسئولية في كل أبناء المجتمع لجهة تكريس الجهود الفردية والجماعية للانخراط في مشاريع التنمية، وسن قوانين جزائية صارمة من اجل القضاء على الفساد الاداري المتسرب الى مؤسساتنا التربوية والاقتصادية، ومنح المخلصين وأصحاب الكفاءات العالية فرص المشاركة في البناء والاعمار، وتوفير الحوافز الضرورية من اجل تشجيع أصحاب رؤوس الاموال على استثمار أموالهم في مشاريع اقتصادية تنموية تساهم في حل مشكلات راهنة كالتوظيف، كما تساهم في بناء مستقبلنا

## اللعبة الصفرية في حسابات طهران للأزمة العراقية

د.عماد موید

أكساديمي

كثيرة هي التساؤلات التي تطرح بين الحين والأخر بصدد التعرف الى حقيقة الموقف الايراني من الملف العراقي ومرد هذه التساؤلات حالة التعقيد والغموض التي باتت تطبع موقف طهران وهل هي مع العراق أم ضده، فقد أظهرت السياسة الايرانية ومنذ مرحلة ما قبل الحرب عام ٢٠٠٣ موجة من الاشارات والمعطيات التي تحمل معانى وايضاحات متضاربةً، فلو عدنا الى فترة ما قبل الحرب سنجد أنه سبق أن اعلنت ايران ويشكل رسمى معارضتها لتنفيذ هجوم عسكرى تجاه العراق على الـرغم من أن (كمـال خـرازي) وزيـر الخارجية وقتئذ رفض أن يوصف موقف بلاده بانه محايد فيما قال رمحسن رضائي) امين مجلس تشخيص مصلحة النظام ان علي ايران ان لا تبقى سلبية وان تُؤدي دوراً أكثر فاعلية في القضايا الاقليمية، هذا في الوقت الذي أدلى به الأميرال (علي شامخاني) وزير الدفاع حينها ان بلاده لن تـواكب او تغـامـر في اي مواجهة عسكرية محتملة بين العراق والولايات المتحدة.

من المؤكد ان الموقف الايراني من الملف العراقي يمثل الامتحان الاكثر خطورة بالنسبة لسياسة طهران الخارجية منذ مرحلة ما بعد ١١ أيلول اذ وجد صناع القرار أنفسهم في موقف عصيب طآلما أنه كان عليهم المفاضلة بين خيارين: ترك الولايات المتحدة وشأنها في العراق او التدخل بفاعلية وكل منهما ينطوي ولا شك على كلف ومكاسب ومخاطر مؤكدة ومحتملة ايضا، صحيح ان ايـران أبدت تعاوناً عسكرياً في الحملة الاميركية ضد نظام طالبان في افغانسان عندما تبنت ما أسمته بالحياد الايجابى فسمحت للطائرات الاميركية ان تنفذ بعض طلعاتها الهجومية مرورا بالأجواء الايرانية فضلاً عن أن بعض المعلومات التي قدمتها عن طالبان كانت اكثر حيويةً بالنسبة لواشنطن من معلومات المخابرات الباكستانية، أضافة الى استمرارها بالتعاون بشكل ايجابي يَّ ملف مكّافحة الارهاب عندما سلّمت عناصر القاعدة الى دولهم بما فيهم (١٦) عنصرا الى الرياض، وبرغم م

فرضته هذه الوقائع من حقيقة أن لا

تطيل طهران التفكير بموقفها من

الملف العراقي على اعتبار ان ذلك

يمثل استكمالًا لمسارات التعاون مع واشنطن للخروج من دائرة الازمة

ان ما يتعرض له العراق لا بد من ان ينسحب عليها بتاثيرات مختلفة الاتحاه الا أن ما يمكن قوله أن السلوك السياسي الايراني في رؤيته وتحركاته ازاء الملف العراقي ومند نهاية الحرب باتت تحكمه قواعد اللعبة الصفرية(Zero Sum (Game)وهو سلوك مستوحى من نظرية في العلاقات الدولية تنحو باتجاه تفسير الصراع الدولي من خلال منظور (الربح والخسارة) أي أنها تتطرق الى اليات ادارة الصراع التي تطغى عليها أسلوب التنافس الشُّديد بين الخصوم دون أن تجهد نفسها في البحث عن أسبابه الظاهرة أو الخفية، فما بحققه أحد الأطراف من ربح استراتيجي في ساحة الصراع انما يعد خسارة مطلقة للطرف الأخر، وربما كانت ايران وحدها من يرى أن نِسق العلاقة مع واشنطن بات

فيالنسبة لنوعية الخسائر التي

الأول: أكمال دائرة الحصار الجيو – لها وجود ونضوذ عسكري في كلُّ من افغانستان والخليج العربي وتركيا اضافة الى بعض جمهوريات اسيا الوسطى التي تقع شمال الحدود الايـرانيـة ومنّ ثمّ استكملت هــدّه الدائرة بايجاد الحلقة المفقودة وهى العراق مما ادى الى اغلاق الدائرةً

للة بادراجها ضمن محور الشر الا ان الحقيقة التي كان يـدركهـا الجميع هي أن الواقع العراقي اقليميا ليس مثل الواقع الافغاني وأن المرحلة الحالية اكثر تعقيداً وفي حاجة ماسة لحسابات دقيقة.

نسلم أن طهران غير مدركة لحقيقة محكوماً بهذه اللعبة.

تتأرجح امام طهران ضمن المشهد السياسي والعسكري الراهن والتي تمثل ربحاً استراتيجياً مهما لمصلحة الولايات المتحدة فيمكن الاشارة اليها بشيء من اليسر، فالنفوذ الأميركي يُّ الَّعراقُ المُشْفُوعِ بتواجد عسكريُّ يفجر لديها مخاوف ومصادر قلق تتمحور حول اتجاهين:

سياسي حول ايران، فواشنطن بأت

حول ايران عسكرياً واستراتيجياً. الثاني: وجود مخاوف ايرانية في أن يكون الوجود الأميركي مقدمة لاطلاق الاحلام الكردية بأقامة دولة مستقلة في شمال العراق بما يعكسه ذلك من تـداعيـات علـى أمن الِنسيج المجتمعي في ايران، خصوصاً وثمة احتمال لا يمكن أن يغيب عن الأذهان وهو استخدام الورقة الكردية كوسيلة للمضايقة وأثارة المشاكل للسلطة في طهران، ولعل التقرير الذي عرضه التلفزيون الألماني Duetch Wille (D-W)ذات مرة عن مساعدات عسكرية ولوجستية تقدمها المخابرات المركزية لأفراد من حرب العمال الكردستاني يدعم هذه المخاوف. لقد شهدت السياسة الايرانية منذ فترة ليست بالقصيرة بعض التحولات

الداخلية التي ضاعفت من السياق

الصفرية) مع الولايات المتحدة، هذه التحولات الَّتي عكست تغيراً في الاستراتيجية كان اهمها غياب نهج سياسة البراغماتية والعودة مرة اخرى الى منظور الثورة الدوغمائية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن في التعاطي مع قضايا الواقع الاقليمي الاستراتيجي مثل الموقف من الْجِزْرُ الامارتية والبّحرين اضافة الى اسرائيل والتهديد المستمر

لتصارعي ضمن منظور (اللعبة

بازالتها من دون أن نسى الاصرار على التعامل مع الملف النووي بصلابة وتحدي، وكلّ هذا حدث بعدّ افول دور لجبهت الاصلاحية التي فقدت مكانتها في هرم السلطة لصالح الحافظين وضياع أهم نقطة خلاف بين الطرفين وهي الحوار مع لشيطان الاكبر بعد أن كانت هناك مشاريع للتحرك السياسي ازاء ----ريے ---واشنطن كوسيلة دبلوماسية تقيهم التعرض الى هجوم اميركى وهو ما سبق أن عبر عنه النائب الأصلاحي (محمد دفدار) في عام ٢٠٠٢ بالقول عُلينا ان نتغلُّب على الانفعالية في سياستنا الخارجية وان نبدأ الحوار مع واشنطن "، على العكس من تصريحات المرشد الأعلى للجمهورية

ريما كانت طهران تجد نفسها قد خسرت سیاسیاً فی حرب امیرکا ضد طالبان عندما لعب دوراً مهماً لكنها لم تستطع التمتع بثمار تحالفها ولا تريد ان يتكرر هذا لا سيما انها تعتقد انها معنية باوضاع الشيعة في العراق وتريد أن يكون لها ۖ نفوذ في اي ترتيبات مستقبلية تخص الجنوب العراقى، ويبدو أن نوعية المكاسب التي تعتقد طهران انها ستمثل ربحاً استراتيجياً لها مقابل خسارة مطلقة

لواشنطن تتمحور حول:

الاسلامية التي تصر على " أن أي حوار مع الشيطان الأكبر مستحيل ".

الأول: تصعيد واقع الأزمة مع الولايات المتحدة من خلال استثمار الضغط الأمني المستمر في العراق كأحد وسائل استنزاف الجهد السياسي الأميركي لاعتقادها أنها ستكون البداية لاقتاع واشنطن بكف يدها عن طهران، ناهيك عن أن الضغط الأمني يراد به أيضاً اعلاء كعب مشاريع الحزب الديمقراطي التي تدعو الّي سحب مبكر للقوات الأميركية، ولعلّ سياسة التصعيد في بعض الأحيان غالباً ما تندمج مع طروحات يتبناها عدد من قيادي الحرس الثورى الإيراني ممن يرغبون حقاً في أن تصل الأزمة الى حافة الهاوية بل وتتعداها لتبلغ عتبة الحرب فتغامر الولإيات المتحدة بضرب إيران عسكرياً خصوصاً أن نخبة منهم يواصلون استضزازهم لواشنطن ودفعها دفعا إزاء هده المغَّامرة، فهم يعتقدون أن في توجيه ضربة عسكرية أميركية أو إسرائيلية ما يحقق نصراً كبيراً لها وللإسلام،

إلى جانب أن ضربة كهده تخدم

الشوري نفسه، وهنذا ما يجعلهم ينظرون إلى صقور إدارة بوش، والى "المحافظين الجدد" في واشنطن وإسرائيل، على حد تعبير (وليم فاف) باعتبارهم حلفاء لهم في مسعاهم السرامي لإلحاق الخسري والعسار والهزّيمة بـ"الشيطان الأكبر" وتلطيخ سمعته دولياً واستراتيجياً، وقي اعتقاد بعض قادة الحرس الثوري أيضاً أن في إمكان بلادهم خوض حرب غير متكافئة ضد قوات البحرية الأميركية وذلك عن طريق استخدام التكنولوجيا المتطورة ضدها، تماماً مثلماً فعل "حزب الله" في حربه التي

خاضها ضد إسرائيل صيف العام

وبالقّدر ذاته، يعتقد هؤلاء القادة

الإيـرانيـون أن في وسع بلادهم

المصالح المهنية الخاصة بالحرس

مهاجمة قوات البحرية الأميركية منظمة القاعدة الإرهابية ومن وكنذلك قواعدها العسكرية أفعــاله وتـصــرفــاته وأفكــاره. بالصواريخ وبتدخل قوات الكوماندوز، كما يعتقدون أن في الإمكان إغراق السفن الحربية الأميركية عن طريق استخدام القوارب السريعة والسفن المدنية المزودة بالأسلحة المضادة للسفن والخارقة للمصفحات الحربية، وفيماً لو قررت الولاسات المتحدة خرق الهدنة النووية التي التزمت بها زهاء ستة عقود في أعقاب كارثة هيروشيما وناكازاكي، وارتأت ضرورة توجيه ضربة نووية لإيران – وهو الخيار المفضل لنائب الرئيس . ديك تشيني كما يقال - فإن خطوة كهذه ستحيل أميركا إلى "منبوذ عالمي" كما أنها ستوطد تماماً أقدام القادة الحاليين في مواقع القيادة والسلطة.الثاني: تحاول ايران ضمن اللعبة الصفرية ان توسع من دائرة الاطراف المنضوية على هامش السياق التصارعي بهدف تشتيت الجهد السياسي الآميركي وتخفيف مساحة الضغوط وفتح قنوات تجاذب اكبر بين الاطراف الدولية من خلال ادخال بعض القوى الى هذه اللعبة مثل الاتحاد الروسي باستخدام ورقة العلاقات العسكرية اذ تدرك طهران حاجة روسيا الى بناء علاقات تسلح مع طهران لفوائدها المادية الى الحد الذي وصفت فيه موسكو هذا التعاون في أكشر من مرة بأنه " تعاون استراتيجي ". وعليه ما يمكن استخلاصه من ملاحظة الأفق السياسي الراهن في الأزمة الايرانية الأميركية حول الملف العراقي هو تشدد طهران في التفاعل مع ضغوط واشنطن لاعتقادها أن هذه الأخيرة

تعانى أزمات داخلية متعلقة بادارة

مشاكلها في أكثر من موقع وهو ما لا

يتيح لها هامش واسع من الحركة

ما يدفع بصناع القرار في طهران

الى سلوك خيار المغامرة السياسية

المستمرة معها لزيادة الضغوط

ودفعها نحو الانسحاب وهو ما يمثل

أهم ربح استراتيجي بالنسبة لها في

قَــال العــودة (إن الأمــة الإسلامية لم تمنح أحداً الحق بأن يتخد مواقف الحــرب، أو يكــون مـتحــدثـــأ باسمها). وتساءل العودة موجها خطابه إلى زعيم القاعدة: (كم من الدماء أريفت؟ وكم من الأبسريساء والشيوخ قتلوا وشردوا تحت اسم القاعدة؟ أيسرك أن تلقى الله وأنت تحمل عبء هــؤلاء على ظهرك؟ من المسؤول عن شباب وفتيان في مقتبل أعمارهم وفي نشوة حماسهم، ذهبوا في طريق لا يعرفون نهایته؟ وربما ضلت بهم هذه السبل، وغابوا في متاهات لا

## التبرؤ من بن لادن.. عودة الوعي لبعض مشايخ السعودية

د. صلام عبد الرزاق

\_ادے

في رحاب شهر رمضان أعلن

الشيخ سلمان العودة في

يح برنامجه اليومي (حجر

الزاوى) الذى تبثه قناة Mbc

السعودية، أنه يتبرأ من المجرم

السعودي أسامة بن لادن زعيم

نهاية لها). ويضيف العودة: (ماذا جنينا من تدمير شعب اكتنطَّاظُ السَّجُون بالشباب، حتى أصبحت هذه السجون مضرخة لموجة جديدة من التكفير والغلو والعنف

وجاء فيها: (إن ما جرى في ١١ أيلول ٢٠٠١ كانت نتيجته قتل بضعة آلاف من البشر، بينما تجد دعاة مغمورين قد لا . يعرفهم كثير من الناس، هدى الله على أيديهم عشرات بل والتطرف؟). مئات الآلاف الذين اهتدوا إلى الإسلام واستناروا بنوره). وأبدى العودة أسفه لصورة المسلمين السيئة التي انطبعت في أذهان الآخرين بسبب تلك الأحداث، موضحاً: (إن صورة الإسلام اليوم ليست في أفضل حالاتها. لقد تحدث الناس في العالم أن المسلمين يقتلون من لا يديّن بدينهم، وتحدثوا عن السلفية تقتل من لا يدينون بها من المسلمين). وتساءل العودة عن جدوى أعمال العنف التى انتهجتها القاعدة مند ظهورها وخاصة في أحداث ١١ أيلول وحتى اليوم، وشملت العديد من البلدان الغربيــة والإسلامـيــة. وفي انتقاد ضمني وجهه العودة لابن لادن الذيَّ يَحاول تسيّد

الخطاب الإسلامي غير دينية وجامعية وحكومية.

الكمله كما جرى في العراق وأفغانستان؟ بل جرب هده الحروب إلى حروب أهلية أخرى تنذر بالشؤم والهلاك على هذه الدول ومن جاورها. ومن المستفيد من محاولة تحسويل المغسرب والجسزائسر والسعودية وغيرها إلى بلاد خائفة لا يأمن فيها المرء على نفسه؟ هل الوصول إلى السلطة مقصد؟ وهل هناك .\_\_\_ تصميم على الوصول إلى الحكم ولو على جثث الآلاف المؤلفة من المسلمين؟ من المسؤول عن ملاحقة العمل الخيري والشُّك في كل مشروع كل مكتان بتهمة العنف والإرهاب؟ ومن المسؤول عن

يعد الدكتور سلمان العودة من المشايخ الدين يتصدرون الخطاب السعودي من خلال ظهوره في القنوات والبرامج الدينية. وكان يتخذ مواقف متطرفة تشجع الإرهاب والقتل والتدمير. فهو أحد الموقعين على البيان الشهير الدى دعا فيه مسايخ السعودية للجهاد في العراق. وهو الذي أيد وناصر ما يسمى بالمقاومة العراقية التي استباحت دماء وأموال المسلمين قبل القوات الأجنبية. وهو الذي كتب مقالاً يدافع فيه عن التقاعدة عندما كانت تتحصن في مدن الأنبار فكتب مقاله الشهير (أهزوجة الفلوجة).

ولكنه اليوم يسير باتجاه آخر، فتراه يتبرأ من القاعدة وأفعالها وجرائمها، ربما لمصلحة ارتآها، أو شعوره بأن سكوته عن الضلال والظلم الندى تمارسه الحماعات التكفيرية قد أدى إلى تشويه صورة الإسلام في أعين الشعوب والأمم على اختلاف أديانها وقومياتها ولغاتها ونظمها لسياسية والاجتماعية وخلفياتها التاريخية. صحيح أن بسراءة العسودة من بن لادن وجرائمه جاءت متأخرة حداً لكنها قد تشكل بداية عودة الوعي لشيوخ التكفير وفتاوى القُتلُ الطَّأَنْفي التي تنهمر من السعودية، ومن شخصيات